مجلة الموروث
ص: 88 - 103
مجلد: 04 عدد: 02 السنة: 2022
ISSN:2710– 8503/EISSN:2992-1538

جهود اللسانيين العرب في تيسير النحو العربي– عبد الرحمن الحاج صالح أنموذجا

The efforts of Arab linguists in facilitating Arabic grammar - Abdul Rahman Al-Haj Saleh as a model

أ.د أحمد بناني[1]، ط.د مالك بابي[2]

[1] مشروع الممارسة اللغوية والأدبية بمنطقة تامنغست–مخبر الموروث العلمي والثقافي بمنطقة تامنغست جامعة تامنغست – الجزائر

[2] مخبر التراث الثقافي واللغوي والأدبي في الجنوب الجزائري –جامعة غرداية– الجزائر

[1]benani.ahmed@univ-tam.dz

[2]malek.babi@univ-ghardaia.dz

تاريخ الإرسال:.2022/10/18	تاريخ القبول:.2022/11/20	تاريخ النشر 2022/11/30

مُلخّص البحث

الملخص:

يسعى موضوع هذه الورقة إلى تسليط الضوء على قضية تيسير النحو عند عبد الرحمن الحاج صالح من خلال الوقوف على أهم القضايا التي تطرقها لها الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بصفته علماً من أعلام اللسانيات الحديثة، وهو ما سيسمح لنا بإبراز أهم الرؤى والأفكار التي طرحها وتوصل إليها في قضية تيسير النحو، مما بثّه في أعماله العلمية ومؤلفاته من كتب ومقالات، لاسيما وأنّه ممن عرف عليه سعيه الحثيث من أجل النهوض بتعليم اللغة العربية وترقية استعمالها، من خلال تطوير تعليمها واستعمالها في أوسع نطاق.

ومن هنا فإنّ ورقتنا تنطلق من أسئلة عدة تشكل محور الموضوع منها: كيف كان ينظر عبد الرحمن الحاج صالح إلى تيسير النحو؟ وما هي الأفكار والرؤى التي اقترحها من أجل تيسير النحو العربي ؟... وأسئلة أخرى معتمدين في ذلك على المنهجين الوصفي والتحليلي، في مقاربة لسانية تعليمية.

الكلمات المفتاح : عبد الرحمن الحاج صالح ؛ تيسير ؛ النحو.

Summary:

The subject of this paper seeks to shed light on the issue of facilitating grammar according to Abdul Rahman Al-Haj Saleh by standing on the most important issues addressed by Professor Abdul Rahman Al-Haj Saleh as a science of modern linguistics, which will allow us to highlight the most important visions and ideas that he put forward and reached in the issue of facilitating grammar, which he broadcast in his scientific works and writings of books and articles, especially since he is known for his relentless pursuit of the advancement and promotion of Arabic education, from During the development of its education and its widest use.

Hence, our paper proceeds from several questions that form the focus of the topic, including: How did Abdul Rahman Haj Saleh view the facilitation of grammar? What ideas and visions did he propose in order to facilitate Arabic grammar?... And other questions, relying on the descriptive and analytical approaches, in an educational linguistic approach.

Keywords: Abdul Rahman Al-Haj Saleh – Tayseer – Grammar

البريد المرسل:malek.babi@univ-ghardaia.dz

مقدمة:

إن اللسانيات العربية من المباحث اللسانية الحديثة التي لا زالت تحتاج إلى دراسة وتعمق في بداياتها ، وكذلك تراكمها المعرفي الذي أنتجته، إنها لسانيات تميزت بالجهد القدير الذي قدمه اللغوي الجزائري عبد الرحمن الحاج صالح حيث سنسلط الضوء على قضية تيسير النحو عنده من خلال الوقوف على أهم القضايا التي تطرق لها بصفته علماّ من أعلام اللسانيات الحديثة، وهو ما سيسمح لنا بإبراز أهم الرؤى والأفكار التي طرحها وتوصل إليها في قضية تيسير النحو، مما بثّه في أعماله العلمية ومؤلفاته من كتب ومقالات، لاسيما وأنّه ممن عرف عليه سعيه الحثيث من أجل النهوض بتعليم العربية وترقيتها، من خلال تطوير تعليمها واستعمالها في أوسع نطاق، بل وميله

الكبير إلى تيسير طرق تعليم النحو أكثر من تركيزه على مضمون النحو مع أنه أرسى دعائم نظرية خليلية جاءت بجهاز مفاهيمي واصطلاحي لا يقل أهمية عن الرؤى اللسانية الحديثة، في رؤية أسست للسانيات العربية وأصلت لها، وفتحت الباب أمام إعادة قراءة التراث النحوي قراءة نقدية موضوعية تجديدية تبسيطية.

ومن هنا هذه الورقة البحثية تنطلق من أسئلة عدة تشكل محور الموضوع منها: كيف كان ينظر عبد الرحمن الحاج صالح إلى تيسير النحو؟ وما هي الأفكار والرؤى التي اقترحها من أجل تيسير النحو العربي ؟... وأسئلة أخرى معتمدين في ذلك على المنهجين الوصفي والتحليلي في سبر هذه الإشكالية والوقوف على ما تثيره من مفاهيم ومصطلحات ، وتطلعاتها المختلفة.

أولا: عبد الرحمان الحاج صالح الإنسان اللغوي:

ولد الدكتور **عبد الرحمان الحاج صالح** بمدينة وهران في 08 من جويلية 1927م ، وهو من عائلة معروفة نزح أسلافها من قلعة بني راشد المشهورة إلى وهران في بداية القرن التاسع عشر و درس في المدارس الحكومية، وفي نفس الوقت كان يتلقى دروسا بالعربية مساءً في إحدى المدارس الحرة التي أنشأتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ثم التحق وهو ابن خمس عشرة سنة بحزب الشعب الجزائري[1]، و في سنة1947م بعد حملة واسعة قامت بها الشرطة الفرنسية على المناضلين و الوطنيين رحل إلى مصر، والتحق بكلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية، وهناك اكتشف أهمية التراث العلمي اللغوي العربي من خلال ما اطّلع عليه في كتاب سيبويه ، ليتّضح له الفرق الكبير الذي لاحظه بين وجهات النظر الخاصة بالنحاة العرب القدماء وما يقوله المتأخرون منهم، وكان هذا دافعا مهما في حياته العلمية، ولم يستطع **عبد الرحمن الحاج صالح** إكمال دراسته في مصر ليلتحق بجامعة بوردو بفرنسا بعد أن ساهم في ثورة أول نوفمبر لسنوات عدة ،إذ قام بعدة مهمات فقد كان مسئولا عن فوج إبّان الثورة التحريرية ، ثم نزل بعدها بالمملكة المغربية ضيفا على إخوانه و هناك التحق بثانوية مولاي يوسف في الرباط كأستاذ للغة العربية، وهذا أيضا حادث أثّر في حياته الثقافية، وقرّبه أكثر من اللغوي العبقري الخليل بن احمد الفراهيدي[2]، وقد عكف **عبد الرحمن الحاج صالح** على دراسة أراء الخليل لدرجة تعلّقه بفكره فعكف على دراسة الرياضيات

دراسة وتحصيلا، كل هذا من أجل أن يتسنى له دراسة علم الخليل بن أحمد الفراهيدي، فكان له ذلك لينبغ في فكره العلمي.

ولما استقلت الجزائر كان من المساهمين في النهوض بجامعة الجزائرية تأطيراً وتطويراً وقد أسندت إليه عمادة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فنهض بها خير نهوض، وقد شارك **عبد الرحمن الحاج صالح** في كل الندوات التي كانت تقام لتطوير الجامعة الجزائرية[3].

ثانيا: جهود عبد الرحمن الحاج صالح اللغوية والعلمية:

1- جهود عبد الرحمن الحاج صالح اللغوية:

للعلامة **عبد الرحمن الحاج صالح** جهود كثيرة اختلفت وتباينت في ميادينها وهي كالآتي:

أ-في الأصول: بذل **عبد الرحمن الحاج صالح** جهداً من أجل الحفاظ على اللغة العربية وإثرائها وجعلها وافية بمستحدثات العلم الحديث، وفي هذه النقطة يركّز على الأصالة اللغوية لا كمقابل للحداثة، بل كمقابل للتقليد مهما كان المقلد ومهما كان زمانه ومكانه[4]، وقد حاول **عبد الرحمن الحاج صالح** أن يبيّن أنّ التراث العلمي اللغوي الأصيل ممّا أبدعه الأولون ثري بالأفكار الأصيلة والمناهج النافعة والتحليلات العميقة وهي لا تقل قيمة عمّا جاءت به الدراسات الحديثة.

ب-في اللسانيات: إنّ لهذا العالم الجليل شغف كبير باللسانيات وفقه اللغة، فقد قام العلاّمة في مجال علوم اللسان بتحليل ونقد أهم مفاهيمه ومناهجه متطرقاً لنشأته ومختلف أطواره معيداً بذلك النظر في كل المعلومات والمناهج التي تركها السلف باعتبار أن اللسانيات ثورة على تلك المفاهيم التي لا تحيد عن النمط القديم لدرجة القداسة ، فهو لا يهدم المسلمات السابقة بل يبنيها على وعي علمي، ويدعو إلى قراءة اللغة العربية من خلال اللسانيات الحديثة مقارناً بين الدراسات اللغوية العربية القديمة وما أنتجه علم اللسان الحديث [5] فالعلامة **عبد الرحمن الحاج صالح** من دعاة القراءة الواعية للتراث اللغوي، ومن الباحثين المجددين في مجال اللسانيات الحديثة ما جعله عَلماً من أعلام علوم اللسان لا على مستوى وطنه بل على مستوى العالم.

ج-في الرصيد الوظيفي المغاربي: قام بإنجازه بالاشتراك مع تونس والمغرب وموريتانيا ويتناول أهمّ ما يستعمله الطفل المغاربي في طوره الأول، إذ يعمل على تحديد القدر المشترك من الألفاظ بين

أطفال بلاد المغرب العربي بهدف توحيد لغتهم وتفادي الحشو الذي يثقل ذاكرة الطفل بم لا يحتاج إليه من الألفاظ.

د–في الرصيد اللغوي العربي: وهو مشروع جماعي مشترك يعمل على ضبط مجموعة من المفردات والتراكيب العربية الفصيحة أو الجارية على قياس كلام العرب التي يحتاج إليها التلميذ في مرحلة التعليم الأساسي والثانوي ، حتى يتأتّى له التعبير عن الأغراض والمعاني التي في التخاطب اليومي من جهة، ومن جهة أخرى التعبير عن المفاهيم الحضارية والعلمية الأساسية التي يجب أن يتعلّمها في هذه المرحلة من التعليم[6].

هـ–في التعليميات: لقد كتب الأستاذ عدة مقالات في هذا المجال وفيها ينتقد منهجية تلقين الدروس، ويقدّم البدائل النوعية التي ترقى بالدرس لأن يكون مفهوما ومستوعباً، وقد كتب في الأسس العلمية واللغوية لبناء المناهج التعليمية وفي الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية ، وفي علم تدريس اللغات والبحث العلمي في منهجية الدرس اللغوي ، مؤسساً فرق بحث في مجال الديداكتيك مستخدماً فيها طرق تبليغ النحو العربي القديم، بتطبيق مبادئ النظرية الخليلية الحديثة وخطواتها الإجرائية ، فقد ساهم **عبد الرحمن الحاج صالح** في بناء النهضة التعليمية وذلك لأنّه كان يترأس اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية[7].

و–في الكتابة في الموسوعات والمجلات:لقد كتب الباحث في عدة موسوعات مختلفة المواضيع ، وفيها التي تتحدث عن التعليم في الجزائر، كما كتب في الموسوعة التي سوف تصدرها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وموسوعة أعلام العرب والمسلمين، إلى جانب عضويته في مجلسها العلمي ، كما كتب عدة مقالات في مجلات المجامع العربية ، بالإضافة إلى بعض المجلات الأوروبية ، إضافة إلى مجلة مجلس الأعلى للغة العربية[8]، وهذا ما يبيّن لنا النشاط والدور الذي كان يقوم به العلامة داخل الحركة الثقافية والعلمية .

2– جهود عبد الرحمن الحاج صالح العلمية:

أ–في المصطلحات:لا يخفى على أحد دور المصطلحات وضبطها، إذ أنّها الواجهة الحقيقية لكل علم من العلوم والتحكم فيها يعني التحكّم في العمل العلمي والمنهجي، وما يعرف عن الأستاذ **عبد الرحمن الحاج صالح** أنّه خبير مصطلحي لدى المنظمة العربية للتربية والثقافة العلوم، فقد كان

يضع المصطلحات ويبدي آراءه فيها قبل أن تنال الشرعية بالاستعمال والتداول، متبعا في ذلك منهجية تتسم بالدقة في وضع المصطلح عن طريق الترجمة والاشتقاق أو المجاز أو النحت أو التركيب المزجي[9] ومن هنا كانت المصطلحات التي يضعها تنال شرعية المؤسسات المصطلحية بكل سهولة ويسر وتلقى القبول في محيطها الإستعمالي وفي مجالها الخاص بها.

ب–في الترجمة: لقد أقبل **عبد الرحمن الحاج صالح** على الترجمة التي يراها فرض عين إذ أنّها من الوسائل الأساسية للرقي اللغوي ويرى أنّ الباحث الأحادي اللغة باحث أعرج ، ويصر على ضرورة إقامة هيئات متعددة للترجمة في الوطن العربي شريطة أن يحصل بينها تنسيق تام ، كما أنّه يؤكد على مقولة طه حسين عندما سئل عن كيفية الرقي باللغة العربية فقال **ترجموا ترجموا ثم ترجموا** .

ج–في الحوسبة اللغوية:يهتم **عبد الرحمن الحاج صالح** في هذا المجال بالتركيز على الاستخدام الفعّال لتقنيات الحواسيب، فيحاول في مجال الحوسبة اللغوية التحاور مع اللغات عبر وضع آليات رياضية للغات الطبيعية ، وهذا أثناء التطبيقات التي يجريها طلابه بإشرافه في ميدان التوثيق الآلي والترجمة الآلية وتعليم اللغات بالحاسوب والتركيب الآلي للكلام والتعرّف الآلي على الخطأ في اللفظة أو التركيب، وهذا بتوظيف الذكاء الاصطناعي[10]، فهو يدعو إلى ضرورة التنسيق والانسجام بين المهندسين واللغويين للوصول إلى صياغة نظرية لغوية تعكس تحليل لغة ما بكل قضاياها المختلفة بغية التعرّف على آليات تلك اللغة بشكل بسيط.

د–في الذخيرة اللغوية (الانترنيت العربي): يستهدف هذا المشروع جمع الألفاظ العربية على شكل موسوعة ،إذ أنّها عبارة عن قاموس جامع للألفاظ العربية المستعملة والمتداولة في الاستعمال اللغوي اليومي، فهي ليست مقتصرة على تلك الألفاظ التي وردت في المعاجم[11]، إذ أنّها تحوي جميع الألفاظ التي استعملت في اللغة العربية منذ العصر الجاهلي إلى عصرنا هذا ليتمّ إحصائها وجمعها على شكل نصوص تدرج في الحاسب ليسهل التعامل معها ومعرفة تغيراتها السياقية والدلالية عبر تاريخ استعمالها.

ثالثا: تيسير النحو عند الحاج صالح:

1– مفاهيم ومصطلحات تيسير النحو:

تعتبر قضية تيسير النحو من القضايا اللغوية التي شغلت بال الباحثين اللغويين وبخاصة أولئك الذين عكفوا على البحث في ميدان تعليمية اللغة العربية، وقد تعددت المصطلحات التي تدل على جهود وأراء الباحثين في قضية تيسير النحو العربي وهي متداخلة فيما بينها ونذكر منها مايلي:

- **الإحياء**:ظهر هذا المصطلح في كتاب إبراهيم مصطفى الموسوم بـ"إحياء النحو" وقد أوضح الغرض من هذه التسمية من خلال قوله "أطمع أن أغيّر منهج البحث النحوي للغة العربية، وأن أرفع على المتعلمين إصر هذا النحو، وأبدّلهم منه أصولا سهلة يسيرة تقرّبهم من العربية، وتهديدهم إلى حظ من الفقه بأساليبها"[12]، فنجد أنّ الإحياء عند إبراهيم مصطفى مبنيٌّ على أساس " التحديد للوظائف الدلالية لحركات الإعراب في الأسماء، إذ حاول أن يعيد تبويب النحو، فاستغنى عن بعض أبوابه وأدمج عددا منها في بعضها وقدّم فهماً جديداً لبعض ثالث فهذا ما قصده المؤلف من تغيير منهج البحث النحوي"[13]، فإبراهيم مصطفى عمل على تيسير النحو العربي من خلال إعادة تبويب أبوابه لتقريب المادة النحوية من المتعلم.
- **الإصلاح**:"ورد هذا المصطلح في أعمال وزارة المعارف المصرية ...ويقصد به الباحثون الذين أطلقوا هذا المصطلح على التيسير تخليص النحو العربي من الشوائب والاختلالات التي أسهمت في النفور منه وفي وصفه بالصعوبة والعسر، وقد قادتهم هذه الرؤية إلى حذف بعض الأبواب النحوية وإعادة عرضها بطرق أخرى"[14]، وهنا نجد أنّ الإصلاح في مضمونه هو إعادة بناء وتركيب النحو العربي من خلال الحذف والاستغناء عن تلك التعقيدات في الأبواب والمسائل النحوية، والإبقاء عن ما هو ضروري في المادة المراد تعليمها.
- **التجديد**: "يقصد به البحث عن شيء جديد لم يسبق له الوجود، وهذا غير ممكن لأننا لا نستطيع هدم التراث النحوي الذي تركه له علماؤنا الفطاحل ونأتي بغيره لأنّ ذلك يسيء إلى اللغة العربية وأصولها"[15]

- **التيسير**:"اشتهر هذا المصطلح عند الباحثين اللغويين فهو في مضمونه ليس "اختصارا ولا حذفاً للشروح والتعليقات ولكنه عرض جديد لموضوعات النحو ييسر للناشئين أخذها واستيعابها"[16]،فالتيسير هو العمل على تقديم المادة النحوية للمتعلمين في أبسط صورة لها، مما هي عليه، حتى يسهل عليهم هضمها واستيعابها.

تختلف رؤية **عبد الرحمن الحاج صالح** لتيسير النحو عن رؤى الباحثين اللغويين العرب، إذ يرى أنّه التبس واختلط عليهم مفهوم تيسير النحو، ويتسائل "كيف ييسّط النحو وهو القانون الذي بنيّ عليه اللسان!...وهل يعقل أن يجحف بالعلم بحذف بعض قوانينه وعلله؟"[17]، وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ **عبد الرحمن الحاج صالح** أدرك أنّ تيسير النحو لا بد أن يكون في الطريقة أو الطرق التي يدرس بها النحو وليس فيه بحدّ ذاته، كما أنّه يشارك ابن خلدون في رؤيته لصلة الملكة اللسانية بالنحو فهذا الأخير هو بمثابة العلم بقوانين الإعراب والعلم بكيفية العمل بينما الملكة اللسانية فهي الأداء الفعلي لذلك العلم[18].

2– قضايا تيسير النحو عند الحاج صالح:

أ) التمييز بين النحو العلمي والتعليمي:

يدعو **عبد الرحمن الحاج صالح** إلى ضرورة التمييز بين بين النحو التعليمي والنحو العلمي، فهذا الأخير يمثّل نظرية اللغة وأصولها أي أنّه "يجب أن يكون معيارياً بل إنّ عليه أن يكون علمياً موضوعياً يصف أداء اللغة ولا يفضّل أيّ تأدية على أخرى، إذ أنّه يعتمد على كل ما هو موجود في كلام العرب أي ما نطق به العرب فيثبت في لغتهم، أمّا النحو التعليمي فهو نحو معياري أي يعتمد على معيار أي على نموذج لغوي معين للتفرقة بين الخطأ والصواب في كلام المتعلمين"[19]، فالنحو العلمي هو تلك النظريات والأصول التي تضبط بها الملكة اللغوية والذي ألّفه النحاة الأوائل انتقاءً واستنباطاً من كلام العرب، بينما النحو التعليمي هو تلك القواعد التي يستنبطها اللغويون المختصون في مجال التربية والتعليم والتي يقومون بإدراجها في الكتب المدرسية والتعليمية بغية تعليمها للمتعلمين.

وعلى حسب رأي **عبد الرحمن الحاج صالح** فإن الكثير من النحويين والمعلمين يرون أنّ النحو مجرد وسيلة لاكتساب الملكة اللغوية وأنّ أي دراسة نحوية إلا ولها هذا الغرض، ويعتقدون أنّ النحو الذي وضعه النحاة الأوائل ليس صالحاً لهذا الغرض إذ يقول في هذا الصدد "ومن اعتقاد الكثير منهم أنّ هذا النحو الذي وضعه النحاة العرب، كما وصل إلينا غير صالح البتة لتحقيق هذه الغاية ومنهم من يتهم سيبويه بتعقيده أكثر من اللازم"[20].

ويرى **عبد الرحمن الحاج صالح** أنّ الغاية الأولى والأسمى التي قصدها واضعو النحو هي "أن يكون لغير المتقنين للعربية من أبناء العرب والمسلمين وغيرهم مجموعة من الأصول اللغوية والضوابط النحوية يرجعون إليها لا طريقة لاكتساب الملكة بل كمرجع من الضوابط لم يسبق أن جمع وألّف من ذي قبل"[21]، إذ أنّه من الضروري أن تستخرج هكذا قواعد من كلام العرب لتكون ضوابط يلجأ إليها عند الخطأ اتقاءً للوقوع فيه وهذا العمل لا يكون إلا علمياً بحتاً حسب رأي **عبد الرحمن الحاج صالح**، أمّا النحو التعليمي فالغاية منه هو البحث "في كيفية إيصال التراث النحوي العربي إلى المتعلم العربي منذ نشأته بطريقة سهلة تبعده عن الوقوع في متاهات التحليل والتعليل والفلسفة التي لا جدوى منها في النحو العربي"[22]، وقد أشار **عبد الرحمن الحاج صالح** إلى أنّ الكثير من النحاة أدركوا بأنّ ما جاء في كتبهم النحوية من البحوث النظرية لا يستجيب لحاجات تعليم اللغة العربية، ولذا شرعوا في تأليف المختصرات لهاته المؤلفات وهو ما عقّد الأمر على المعلم والمتعلّم في تعلّم النحو حتى أصبحت هذه المختصرات لا تفيد المعلم ولا المتعلم[23]،ويضيف **عبد الرحمن الحاج صالح** أنّ "القول بأنّ النحاة عقّدوا ما أقاموه من قواعد نحوية هو تعسّف وظلم بالنسبة للقدامى منهم كما قلنا، لأن ما وضعوه هو وصف علمي لنظام اللغة العربية"[24]، وهذا النظام بالنسبة للغة هو مجموعة البنى النحوية المنتقاة من كلام العرب، ومن هنا نستخلص عدة نقاط أشار إليها العلامة وهي[25]:

- ✓ تمّ وضع النحو وتدوين اللغة ليكون كلاهما مرجعاً لكلام العرب، ولم يوضع النحو كطريقة علمية.

- ✓ الدراسة العلمية للغة لا مفرّ منها وهي مهمة الباحث اللغوي إذ لا فرق بينها وبين النحو العلمي، ونتائجها تهمّ بالضرورة مؤلف الطرائق التعليمية، ويجب أن لا تلتبس غايته بغاية النحو التعليمي.
- ✓ إنّ الغاية من إكساب المهارة اللغوية جعل المتعلم قادراً على الإتيان بالعمليات المحكمة لا على المعارف النظرية، أمّا النحو الذي هو مجموع الضوابط الخاصة بالبنى اللغوية وارتباط بعضها ببعض إذ يكون تعلّمه في إكساب المتعلم القدرة على العمل بها في كلامه لا على معرفتها معرفة نظرية.
- ✓ لتعليم المهارة والقدرة على الإتيان بالأفعال المحكمة قوانين خاصة به، يجب أن يلمّ بها مؤلف الطرائق ، ومن هذه الطرائق فيما يخص النحو أساليب التدريب على التصرّف في البنى من الأصل إلى الفروع والعكس، حتى تصير هذه العمليات عادات لا شعورية.
- ✓ النحو الذي ينبغي أن يعتمده المبرمج للمادة اللغوية هو نحو الخليل وأتباعه، إذ أنّ القواعد التي ينبغي أن تدرج في المناهج في حاجة مسيسة إلى أن يعاد فيها النظر في ضوء ما أثبته علماؤنا الأولون وما تتطلبه العلوم اللسانية الحديثة التي تتفق إلى حد ما مع أولئك العلماء[26].

ب) **العناية بالنحو والبلاغة معا:**

إنّ اللسان في نظر **عبد الرحمن الحاج صالح** هو وضع واستعمال، أي أنّه نظام من الأدلة من جهة، واستثمار لهذا النظام من جهة أخرى أثناء الخطاب، ويرى أنّ تفضيل إحداهما على الآخر هو إجحاف بحق اللغة وتعليمها، ويرى العلامة أنّ البلاغة "تقابل النحو في أنّها كيفية استعمال المتكلم للغة... فهي بهذا امتداد للنحو ولها مثله قواعد وسنن معروفة"[27]، كما أنّ الاكتفاء في تعليم اللغة العربية بجانب السلامة اللغوية، أي بجعل المتعلم قادراً على تطبيق القواعد النحوية وحدها دون مراعاة ما تستلزمه عملية الخطاب من القواعد البلاغية فإنّ تعليم اللغة سيكون ناقصاً، وخلافاً لما يظنّه الكثير فإنّ البلاغة لا ينحصر استعمالها في التعبير الأدبي فقط[28]، إذ لا ينبغي لمبرمج المناهج التعليمية أن لا يستهين بالسلامة اللفظية من حيث النحو والصرف

ويتناسى أنّ اكتساب الآليات النحوية لا يتم إلا بالتمرس والتدريب على التبليغ الناجع المبني على القواعد النحوية والبلاغية معاً.

رابعا:النظرية الخليلية وتيسير النحو:

تيسير النحو غايته تخليص النحو من كل ما يثقل كاهل متعلميه من الناشئة، وغير المختصين من المثقفين، وإعادة قراءة التراث النحوي القديم وتقديمه بأسلوب علمي لا يخرج عن فضاء التراث ليغدو النحو سهل التناول بعيدا عن الخلافات والتأويلات والتفريعات الكثيرة[29]، فالتيسير مرتبط بتبسيط النحو والتخلص من الأغلال التي تحول بينه وبين متعلميه، حيث يسمح لهم ذلك باكتساب اللغة بعيدا عن التعقيدات المختلفة التي تطال الكثير من أبواب النحو.

فالتيسير يقوم على الانتقاء من جملة النحو العلمي ، وتجنب الإطالة والتعمّق في ذكر القواعد والاستعانة بالأمثلة والتقليل من الشواهد والوقوف على حدود العلة الأولى وتجنب الشاذ والنادر والتمييز بين المستويات التعليمية[30]، وهي ميزة يراها الحاج صالح مجسدة في نحو الخليل فهو نحو لا تقعر فيه ولا تعقيد، ولا إسقاط ولا توسع والتركيز على البعد التعليمي الذي يفرض التبسيط والتيسير.

ينطلق الحاج صالح من أن الجهد الذي قدمه الخليل يمكن الانطلاق منه في تأسيس درس لساني عربي حديث ومتجدد هذا العالم الفذ الذي أبدع في مختلف ميادين اللغة والدراسات اللغوية العربية، فجزء كبير مما توصل إليه علماؤنا في علم الأصوات، والنظام الصوتي، وفكرة بناء المعجم على مخارج الأصوات بفكرة رياضية محضة سابقة لزمانها، وهو ما جعله يقف على مفهوم العامل، وقسمة التركيب، ومفهوم الزمرة الدائرية، وغير ذلك ندين فيه للخليل، بل الكثير من التفسيرات والتعليلات العلمية العجيبة للظواهر اللغوية العربية ناهيك عن اختراعه للشكل الذي لا يزال قائما ومستعملا في الكتابة العربية[31]، فتيسير النحو عند الحاج صالح في العودة إلى مرحلة لم يختلط فيها النحو بغيره من العلوم كالفلسفة ، وهي مرحلة الصفاء والاتكاء على قيم علمية ومعايير تنشد الدراسة الدقيقة والمحكمة لمختلف مستويات اللغة.

كما أن الحاج صالح يذهب إلى أن جهود الخليل جهود سبقت الدراسات اللسانية الحديث في كثير من مباحثها، بل لا تقل أهمية عن جهود العلماء المحدثين، لكنها جهود مجهولة في كنهها وفي جوهرها عند الكثير من الاختصاصيين المعاصرين،[32]فجهود الخليل لها سبق كبير في بعض مصطلحات الدرس اللساني والحديث وبعض مصطلحاته ومع ذلك ظلت مغمورة يجهلها اهل الاختصاص بله غيرهم، وهي جهود أثبتت ولا زالت تثبت بأنها أجدر بأن تحظى بما تحظى به الدراسات الحديثة من اهتمام.

إنّ الحاج صالح كان ينشد درسا لسانيا عربيا حديثا من خلال اعتكافه ثلاثين سنة أو يزيد على أعمال الخليل وسيبويه، موازاة مع النظر فيما توصلت إليه اللسانيات الحديثة، فنتج عن ذلك فريق من الباحثين المختصين، عادوا إلى ما أبدعه سيبويه والخليل ومن تابعهما وذلك بتمحيص ما تركوه من الأقوال والتحليلات أي بعد التحليل النقدي الموضوعي لها، بناء على ما تكتسيه جهود الخليل في التجديد والتأصيل للنحو العربي [33]، فالنظرية الخليلية جاءت لتعطي للنحو العربي بعدا آخر في إطار التجديد والتطوير، من خلال آليات علمية موضوعية تعيد قراءة التراث النحوي الخليلي دراسة علمية تستنبط وتستدل وتحتج وتؤكد الأبعاد العلمية والموضوعية التي تبناها الخليل والرؤى التي كيب بها قصب السبق في المباحث اللسانية الحديثة.

الحاج صالح جاء برؤية تجديدية تعيد قراءة الخليل وجهوده قراءة تسمح بتطبيق مفاهيم النظرية الخليلية في الميدان التطبيقي كالعلاج الآلي للنصوص، وتركيب الكلام الاصطناعي، وعلاج المصابين بالحبسة[34]، فهي إشارة إلى أن جهود الخليل جاءت لتظهر الأبعاد المضمرة في النحو العربي والخصوصيات المغمورة والمصطلحات العلمية والمفاهيم الدقيقة التي تجسد نظرية متكاملة تستحق تبوء مرتبة كبيرة في سلم التأسيس والتأصيل والتجديد والتبسيط للدرس النحوي العربي.

تُعدُّ النظرية الخليلية رؤية تبسيطية تيسيرية وتجديدية للنحو العربي ، باعتبارها كما يقول الحاج صالح :" لا توجد لغاية الآن نظرية أخرى استخرجت من النظر في اللغة العربية أو على الأقل اعتدت اعتدادا كبيرا بها وبأخواتها اللهم إلا النظرية التوليدية التحويلية التي تجاوز فيها صاحبها التقطيعية والتصنيف الساذج... والسبب الثاني هو من جهة اختبارنا لها عند صوغنا لها

الصياغة الرياضية، وهي أطوع نظرية في اعتقادنا لهذا النوع من الصياغة ومن ثم تشكيلها بالشكل الخوارزمي حتى يمكن استعمالها على الرتاب (الحاسب الالكتروني)، ومن جهة أخرى استغلالها في الاكتشاف الآلي لصيغ العربية الافرادية والتركيبية..."[35]، فالتيسير المنشود تيسير يجعل اللغة العربية تنفتح على فضاءات أخرى ومباحث مبتكرة في ظل حفاظها على خصوصيتها، واستنباط مفاهيم ومصطلحات تمثل جهازها الاصطلاحي والمفاهيمي دون إسقاط بل قراءة نقدية موضوعية تجديدية تجعل العربية تسمو وترتقي من خلال إجراءات منهجية وعلمية محكمة.

خاتمة:

-إن عبد الرحمن الحاج صالح ترك جهدا كبيرا يمكن الانطلاق منه في تجديد النحو العربي والتأصيل له

-النظرية الخليلية نظرية يمكن الاعتماد عليها وعلى جهازها الاصطلاحي والمفاهيمي في الانفتاح على فضاءات جديدة في الدرس اللغوي العربي

-الحاج صالح ينطلق من مرحلة صفاء النحو وهي المرحلة الخصبة التي اتسمت بدراسات علمية وموضوعية كسبت قصب السبق فيه بفضل المفاهيم والمصطلحات والنظر إلى الخلاف

-الحاج صالح اتجه بتيسير النحو اتجاه التأكيد على النحو التعليمي وتبسيط طرق تعليمه، وإعادة قراءة تراث الخليل قراءة نقدية موضوعية علمية تخلص إلى نتائج تستثمر في الرقي باللغة العربية وبحوسبتها.

-الحاج صالح فتح المجال برؤيته التبسيطية والتأسيسة للسانيات العربية أمام إعادة قراءة التراث النحوي واكتشاف أسراره ، وسر خصوصيته وتميز مفاهيمه ومصطلحاته فهو لا يقل في مرحلة الصفاء عن جهود اللسانيين المحدثين الغربيين.

الهوامش:

[1]–ينظر: سعاد شرفاوي : الجهود اللسانية عند عبد الرحمن الحاج صالح قراءة في الآثار والمنهج ومواطن الاجتهاد، رسالة دكتوراه، إشراف بوبكر حسيني، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح ورقلة،2016–2017م،ص11

[2]ينظرالمرجع نفسه.

[3] ينظر: التواتي بن التواتي: المدارس النحوية ،(د ط) ،دار الوعي، 2008م، ص140

[4] ينظر: صالح بلعيد مقارباتمنهاجية ، (د ط) ، دار هومه الجزائر،2001م ، 148

ينظر: سعاد شرفاوي: التفكير النحوي عند عبد الرحمن الحاج صالح ، رسالة ماجستير، إشراف أحمد جلايلي

[5]قسم اللغة والأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح ورقلة،2009–2010 ،ص10

[6] ينظر: صالح بلعيد: مقاربات منهاجية، ص150–151

[7] ينظر: سعاد شرفاوي: التفكير النحوي عند عبد الرحمن الحاج صالح ،ص12

[8] ينظر: صالح بلعيد: مقاربات منهاجية، ص152

[9] ينظر: سعاد شرفاوي: التفكير النحوي عند عبد الرحمن الحاج صالح ،ص13

[10] ينظر: نفسه،ص16

[11] ينظر: صالح بلعيد: مقاربات منهاجية، ص155

[12]ابراهيم مصطفى: إحياء النحو ،ط2 ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة 1992،ص1 (أنظر مقدمة الكتاب).

[13]أكلي سورية: حركة تيسير تعليم النحو العربي في الجزائر، رسالة ماجستير ، إشراف صالح بلعيد ، قسم اللغة والأدب العربي جامعة مولود معمري تيزي وزو 2012،ص32

[14]مبروك حركات: تيسير النحو عند تمام حسان بين الرؤية التخصصية والتعليمية ، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي تامنغست، ع07،ماي2015، ص26

[15]أكلي سورية: حركة تيسير تعليم النحو العربي في الجزائر،ص32

[16]مبروك حركات: تيسير النحو عند تمام حسان بين الرؤية التخصصية والتعليمية،ص28

[17]عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص178 (انظر هامش الصفحة)

[18]ينظر: نفسه،ص177

[19]خولة الطالب الابراهيمي: النظرية النحوية التي يرتكز عليها تعليم النحو والبنى التركيبية ، رسالة ماجستير،إشراف د. عبد الرحمن الحاج صالح ، الجزائر 1977. ص205

[20]عبد الرحمن الحاج صالح : النحو العلمي والنحو التعليمي وضرورة التمييز بينهما، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ع167،ص145

[21]نفسه،ص146

[22]أكلي سورية: حركة تيسير تعليم النحو العربي في الجزائر،ص30

[23]ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح : النحو العلمي والنحو التعليمي وضرورة التمييز بينهما،ص161-162

[24]نفسه،ص165

[25]ينظر:نفسه،ص173-174

[26]ينظر:عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في اللسانيات العربيةج1،ص183

[27]عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في اللسانيات العربيةج1، ص182

[28] ينظر: نفسه،ص184

[29] أحمد بوجمعة بناني، مباحث منهجية في اللسانيات العربية، دار الأيام، الأردن، ط1، 2015، ص 202

[30] نفسه، ص 202

[31] عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في اللسانيات العربيةج1ص 208

[32] نفسه، ص 208

[33] نفسه، ص 208-209

[34] نفسه، ص 209

[35] نفسه، ص 226

المراجع:

الكتب:

01 ابراهيم مصطفى: إحياء النحو ،ط2 ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة 1992،

02 أحمد بوجمعة بناني: مباحث منهجية في اللسانيات العربية، دار الأيام، الأردن، ط1، 2015،

03 التواتي بن التواتي: المدارس النحوية ،(د ط) ،دار الوعي، 2008م،

04 صالح بلعيد: مقاربات منهجية ، (د ط) ، دار هومه الجزائر،2001م ،

05 عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2007،

الرسائل الجامعية:

01 آكلي سورية: حركة تيسير تعليم النحو العربي في الجزائر، رسالة ماجستير ، إشراف صالح بلعيد ، قسم اللغة والأدب العربي جامعة مولود معمري تيزي وزو 2012،

02 خولة الطالب الابراهيمي: النظرية النحوية التي يرتكز عليها تعليم النحو والبنى التركيبية ، رسالة ماجستير،إشراف د. عبد الرحمن الحاج صالح ، الجزائر 1977.

03 سعاد شرفاوي : الجهود اللسانية عند عبد الرحمن الحاج صالح قراءة في الآثار والمنهج ومواطن الاجتهاد، رسالة دكتوراه، إشراف بوبكر حسيني، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح ورقلة،2016-2017م،

04 سعاد شرفاوي: التفكير النحوي عند عبد الرحمن الحاج صالح ، رسالة ماجستير، إشراف أحمد جلايلي قسم اللغة والأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح ورقلة،2009-2010 ،

المجلات:

01 عبد الرحمن الحاج صالح : النحو العلمي والنحو التعليمي وضرورة التمييز بينهما، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ع167،

02 مبروك حركات: تيسير النحو عند تمام حسان بين الرؤية التخصصية والتعليمية ، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي تامنغست، ع07،ماي2015،